

# وثائقي لروبرت غرينوالد

هكذا، يستخدم الرئيس فعل «نحب»، كي يصف المشاعر التي يوحون بها إليه. ولكن الفيلم الوثائقي لا ينتهي دون هذا التحديد: لقد بلغ أجر السيد سكوت، عام ٢٠٠٥، ٢٧٢٠٧٧٩٩ دولاراً، فيما بلغ الأجر الوسطي لأحد موظفي البيع ١٣٨٦١ دولار. وهي علاقة أجرية تعادل ١ إلى ٢٠٠٠. إنه تعريف أولي وغير متوقع للحب المتبادل بين الشركاء. وهنالك منظورات أخرى توجه فيلم غرينوالد. نشأ المخزن الأول لوال مارت عام ١٩٦٢: في ذلك العام نفسه، افتتح السيد دون هنتر في أوهايو مخزن خردوات وطور أعماله حتى اليوم الذي استقرت فيه وال مارت بجواره. وهكذا دمرت، على الفور، حياة مهنية ومستقبل أسرة. لا يعتبر السيد هنتر ناقداً للرأسمالية، وهو ليس خبيراً وليس جامعياً. إنه جمهوري يعشق الأسلحة النارية، مثابر إلى حد يرفع معه كل يوم العلم ذا النجوم على السارية الواقع إلى جانب متجره. إنه يمثل إلى حد ما صورة الأمريكي المتوسط وصوته، وصورة وصوت «المجتمعات التي صلبتها» وال مارت من تكساس إلى بنسلفانيا، المجتمعات التي تتساءل.

يبرز غرينوالد عن قصد، في هذا الفيلم، وجهة النظر «غير المنحازة» هذه لوطنيين يأخذون على محمل الجد الحقوق التي يضمنها لهم دستور الولايات المتحدة الأمريكية. إنهم يستحضرون، بإحساس عميق بالظلم- بل وبخيبة الأمل، المضايقات التي ينبغي عليهم أن يتخطوها كي يحصلوا على كل رخصة بناء. وبالمقابل، يبدو كل شيء في غاية السهولة، بالنسبة لعملاق تجارة التجزئة. إنه القسم الرئائي من الفيلم: أمريكا تقليدية، ريفية بالأحرى ومتضامنة، تموت إلى حد ما في كل مرة تأتي فيها شركة التوزيع المتعددة الجنسيات هذه. فعندما تنتهي البلدوزرات من قلب الأرض، لا يبقى إلا المتاجر الكبيرة، ومطاعم بيرغر كينغ ومكدونالد على التلال التي غالباً ما تشرف على مدن صغيرة أغلقت كل محلاتها. ويرتفع صوت بروس سبرينغستين يعني لحن وودي غوثري الشهير: «This land is your land, this land is my land. This land was made for you and me». إنه وعد تم انتهاكه جزئياً: «فهذه البلاد» لم تعد لهم تماماً.

وهكذا، يعارض كل الأشخاص الذين أعطاهم غرينوالد الكلام وال مارت باسم ما يعتقدون أنهم يفهمونه على أنه أمريكا. فالسيد جون برونيغ مثلاً هو بائع نظارات. أنه



ت: رانيا قرداحي

## وطنيون أمريكيون ضد وال مارت

يبدأ هذا الوثائقي، الذي أنتجه وأخرجه روبرت غرينوالد، بمشهد الاجتماع السنوي لحملة الأسهم في شركة وال مارت الذي يعقد في قاعة فسيحة ومكتظة.

يرتقي السيد لي سكوت المنصة، وسط ترحيب حماسي وينطلق بالقول: «في كل عام، يستطيع رئيس مجلس إدارة هذه الشركة أن يقول لكم: لقد حققنا لتونا مبيعات قياسية وأرباحاً قياسية وإعدادات توظيف قياسية لصالح هذه الشركة. بيد أنه ينبغي أن يكون الأمر أفضل من ذلك. لأن وال مارت اليوم، وبسبب نجاحنا أو بسبب حجمنا، تستشير الخوف والرغبة لدى البعض». ويجادل السيد سكوت، الذي رفض أن يقابل مخرج الفيلم قائلاً: «إن وال مارت بالغة الأهمية بالنسبة إلى الأسر التي تحاول أن تضغط موازنتها، وبالنسبة للموردين الذين يستخدمون ملايين الموظفين وبالنسبة لشركائنا الذين نحبهم وتقدرهم كثيراً». إن «الشركاء» هم، كما هو معروف، موظفو الشركة.



يكشف، ذات يوم، أن تلك الدعاية الغيرية للشركة كاذبة- وقد كذبت عليه. لقد ثقب الظلم في السلفادور عينيه: «لقد كان الناس غاية في اللطف، غاية في الطيبة، وكانوا يعملون مقابل القليل جداً». وهكذا نادى زوجته ذات يوم وبكى معها. إنها سذاجة مؤثرة، وجذابة أيضاً، من هذا الذي فهم أخيراً أن شركته لا تشبه ما كان يظنه وما كان يدفع الآخرين إلى الاعتقاد به وأن «الاستغلال» هو القاعدة.

لم يكن هنالك من شيء موفق أكثر من ذلك المشهد في فيلم وثائقي يلجأ أحياناً إلى التفاصيل الكبيرة كتلك المشاهد لامرأة جرى اغتصابها في أحد مواقف السيارات التابعة للشركة متعددة الجنسيات أو لوالدي امرأة أخرى قتلت لأن الأمن، بحسب غرينوالد، لم يكن كافياً خارج متاجرها. وفي المحصلة، فإن هذا الفيلم، الذي ينتهي بصورة طبيعية إلى درجة كافية، إلى نوع من النهاية السعيدة التي تجلبها حركات المقاومة لإنشاء هذه المتاجر الكبيرة، يقود المرء إلى التساؤل: ألا يمكن لمعارضة وال مارت أن تصبح أرضية لتقارب غير منتظر بين قوى تقدمية تقاوم استغلال الأجراء وحركات بيئية يثيرها نهب الأرض والنزعة الاستهلاكية والمحافظين المتعلقين بصورة (مثالية) لأمريكا، صورة تظهر في أفلام فرانك كابرال القديمة وفي مسلسل «منزل صغير في البرية»؟ إلى كل هذا الجمهور يوجهه روبرت غرينوالد

محافظ يدفع بصورة صحيحة تماماً أجور موظفيه. وهو يتساءل: اليس النقاويون على حق عندما يعارطون أجور البؤس التي تدفعها المتاجر العملاقة؟ وهكذا يطرح، وآخرون، على أنفسهم بالمشكلة حول المنافسة الباطلة، والاحتكار ونزع الصبغة المحلية عن الأعمال. وهم يعتقدون أن اعتبار شركة متعددة الجنسيات، تعتبر المستورد الثالث عالمياً للمنتجات الصينية، على أنها أمريكية «غير ذي معنى». إنها مركز توزيع للصين. إن الصين تملك، بواسطة وال مارت، خط أنابيب يغذي مباشرة كل منزل أمريكي». ولكن، هل يريح العمال الآسيويون حقاً عندما يتقاضون أقل من ثلاثة دولارات يومياً؟ يأتي التأكيد من تلك البلاد على لسان عاملة صينية توجه الاتهام: «هل تعلمون لماذا يمكنكم شراء الألعاب من وال مارت بأسعار جيدة؟ لأننا نعمل كل يوم، وفي الليل أحياناً». ولكن هذا التفسير قد يكون منقوصاً: فالسيارة الدمية التي تباعها الشركة متعددة الجنسيات بمبلغ ٩٦، ١٤ دولار، تكلف من حيث اليد العاملة ١٨ سنت...

قاد السيد جيم بيل لين، الذي يظهر بخدين ممتلئين وبقميص أبيض وربطة عنق، أعمال المقاومة من الباطن لصالح وال مارت في أمريكا الوسطى. وقد كان جندياً جيداً. لقد اعتقد بكمال النظام وبأخلاقيته الاجتماعية وقد كان مستعداً « أن يبذل دمه لأجل وال مارت». ولكنه